بداية الكلام و تقليد اللغة

ـ إن الأطفال حديثي الولادة عادة تكون لديهم أشكال بكاء مختلفة التعبير عن احتياجاتهم وأحاسيسهم، وكلما زادت شدة بكاء الطفل تيقن الأطباء من أن صحة المولود ممتازة، لأن البكاء عند الأطفال يدل على أن مركز التنفس وعضلات التنفس والرئتين والحنجرة والحبال الصوتية تعمل بتوافق، كما تستطيع الأم بعد الولادة غالباً أن تميز صوت طفلها بين أصوات الأطفال الآخرين. وخلال الشهر والنصف الأول من عمر الطفل يبدأ بالاستجابة إلى الابتسامة والحديث وعادة ما تكون الابتسامة والحركات السريعة لأطراف الطفل دليلاً على سعادته وطريقة للتعبير عنها. أما في الشهر الثاني فيبدأ الطفل بإضافة بعض الأصوات الخاصة به.

ـ وفي الشهر الثالث من عمر الورد يبدأ الطفل بتمييز الابتسامة عن الكلام أو الحديث معه فيطلق أصوات المناغاة، ويعد هذا العمر من أسعد الأوقات المشتركة بين الأم وطفلها لممارسة المناغاة والتي تعتبر بداية الطريق لتعليم الطفل أخذ الأدوار في الحديث ، لأن الأطفال في هذا العمر لا يحاولون إصدار الأصوات إلا بالتحدث المباشر إليهم، أما عند إكمال الطفل النصف الأول من السنة الأولى، فيكون قد بدأ بربط الأصوات بعضها ببعض كمحاولة لمزجها عن طريق المناغاة وبالتمرين المستمر للطفل تصبح الأصوات أكثر تعقيداً أو تطوراً.

ـ أما في الشهر الثامن ، فأغلبية الأطفال يمتلئون سروراً بالحديث حتى ولو لم يكن موجهاً إليهم، فلو لاحظنا عند تحدث شخصين بالغين في موضوع معين أثناء وجود طفل صغير بالعمر المذكور آنفاً بينهما، فإن الطفل يلتفت برأسه نحو الشخص المتكلم بالتوالي كأنه كرة تنس، والتركيز بعينه على حركات شفاههما ، بينما إذا مضت فترة من الزمن ولم يشركاه في الحديث أو النظر فإنه سيستخدم لغته الخاصة أو إطلاق صرخة للتنبيه بوجوده.

ـ خلال الشهر التاسع يبدأ الطفل بإعادة الكلمات المألوفة بطريقة تساعده على تعلم العلاقة بين الصوت والشيء أو العمل؛ لذلك لا بد من استخدام جمل قصيرة أو عبارات مختصرة مع التلفظ الواضح والتوقف عند الكلمة عدة مرات.

فالإعادة والتكرار مهمان جداً في هذه المرحلة، لا سيما ربط الكلمة بمدلولها،

وحتى الشهر العاشر، عادة يتعلم الأطفال الطبيعيون بعض الكلمات البسيطة والتي تثير اهتمامهم لخطوة أولى للكلام.

تقليد اللغة:

إن مرحلة بدء الأطفال في تقليد اللغة تبدأ في الشهر الثامن عشر إلى ثلاث سنوات؛ فنجد الأطفال حينها يحاكون ألفاظاً أكثر تعقيداً لتكوين عبارات من كلمتين، وهذه محاولات ممتازة تعكس مقدرة الأطفال على إيصال أفكارهم، فالأطفال مقلدون جيدون، وهذه المهارة تزداد بتعلم الكلام، فعادة ما يحاول الأطفال خلال هذا العمر الثرثرة مع أنفسهم أو مع ألعابهم؛ لذا يجب عدم مقاطعة هذه الثرثرة، لما لها من تأثير في تطور مقدرتهم على الكلام خلال هذا العمر الذي يميزهم بحدة الانتباه.

الطفل الأول في العائلة عادة ما يتكلم أسرع من الذين يأتون بعده؛ وذلك لتركيز اهتمام الوالدين والأقارب على الطفل بصورة كبيرة ، فيكون بذلك خزين الكلمات لدى الطفل البكر ممتازاً؛ مما يساعده على النطق المبكر.

ومن الطبيعي جداً للطفل الثنائي اللغة في المراحل الأولى لكلامه أن يمزج بين اللغتين ويكون بطيئاً في الفصل بينهما.

مهارات الاتصال المبكرة (اتصال غير لغوي) :

- يبكي الطفل في الشهور الأولى – تفترض الأم أنه يريد توصيل رسالة معينة إليها فتحمله تطعمه – تشعره أنهما يتكلمان نفس اللغة . يتعلم من ذلك فائدة لغة الكلام : يستطيع أن يلفت نظر الأم – يتحكم في المجتمع ويوجهه .
- يعلم أيضا استعمال اللغة : التعبير– رغبات– أحاسيس. التوجيه : تنفيذ الرغبات – توجيه تصرف الآخرين . الوصف : الإشارة إلى الأشياء .
- يجب أن نحاول استخدام الكلام بالمنزل للتعبير– للوصف – للعب – للسؤال.
- إذا كنا نتكلم كثيرا : لا نترك مجال للطفل ليتكلم أو يستجيب.
- إذا كنا نستعمل جملا معقده أو نتكلم بإيقاع سريع– لا نوفر له نموذجا يستطيع تقليده فيصاب باليأس سريعا.
- إذا كنا نسأل كثيرا ولا نفعل شيئا.أو نتكلم فقط بغير أفعال.
- إذا كنا ندقق على الأخطاء دون الالتفات للمعنى ودون التشجيع على الصواب فإننا نفقده الحافز على الكلام.
- إذا كنا نقبل كل كلام الطفل دون إعادة الكلمات بطريقة صحيحة– فإننا لا نوفر له نموذجا سليما يستطيع التعلم منه.

ـ إذا كنا نضغط عليه للكلام أمام الآخرين- فإننا نفقده هدف التخـــاطب كوســيلة اتصال وليس للمفاخرة أو التأنيب إذا لم ينجح.

ـ إذا كنا نجد أنه من الأسهل استعمال الإشـــارات دون أن نقــول الكلمـــة التـــي تصاحبها- فإننا لا نعلمه كلمات.

ـ إذا كنا نتكلم عن الطفل في وجوده وكأنه لا يفهم - فإننا نزيد من إحساسه بأنـــه غير قادر على الكلام والاستجابة.

الأطفال وفن النطق:

إن التواصل بين بني البشر له عدة أشكال، أبرزها اســتخدام اللغــة كأســلوب للتفاهم مع أبناء المجتمع الواحد، ووصف مشاعرهم، وعرض أفكارهم، وتلخيــص المعاني المعقدة لكثير من الأمور التي تجول بخواطرهم. لذلك يلجأ الأطفـــال فـــي الأشهر الأولى من أعمارهم الندية إلى انتهاج الصراخ والحركات المعبرة وســـيلة للتعبير عن رغباتهم واحتياجاتهم، أو اللجوء إلى البكاء الذي ينطوي على الكثـــير من التفسيرات.

وسرعان ما تتقدم بهم أعمارهم، ليكتسبوا لغة آبائهم ومجتمعهم كوسيلة للتعبـــير والتفاهم. ولكن كيف يكون ذلك؟ وما هو دور الآباء والمربين في مـــهارة الطفـــل اللغوية وقدرته على صياغة مشاعره بدقة وتعلم النطق الواضح للأحرف؟

إن الأطفال في الأشهر الأولى من حياتهم يتمتعون بالاستماع إلى الأصوات، ثم يقبلون على الانتباه إلى الكلمات، والتفكير بها قبل أن يستخدموها. وذلك يعتمد على الإشارات والحركات وأساليب الإثارة المصاحبة للعبارات التي يوجهـــها الأب أو الأم إلى الوليد الصغير مباشرة. وقد أكدت بحوث ودراســـات تربيـــة الطفـــل أن الأطفال يصبحون أكثر مهارة عند تحدث الوالدين إليهم مباشرة، وتـــرك الفرصـــة المناسبة للأطفال على الإجابة.

ولاسيما أن الحياة اليومية مع الأطفال مليئة بفرص التواصل والتكلـــم معـــهم. وبخاصة في توجيه الأسئلة والأوامر والنواهي، وتعطي نموذجاً مناســـباً لعـــرض العديد من المواضيع بعدة أشكال. وكما يجب مراعاة عدم حـــدوث ضوضـــاء أو تداخل كلام مجموعة أشخاص آخرين أثناء المحادثة مع الأطفال لما لها من تـــأثير واضح على عدم انتباههم وقلة إصغائهم. وعند التكلم مع الأطفال بـــدون وجـــود ضوضاء نلاحظ كيف يتتبع الأطفال حركة شفاه المتكلم وحرصهم علـــى التركـــيز بدقة على نغمة صوت الشخص وحركاته والإصغاء إلى الكلمات، ومن هنا يتعلـــم الأطفال الكلام.

مراحل السمع والكلام عند الأطفال :

إن المقدرة السمعية عند الطفل تبدأ من أشهر الحمل الأخيرة وهو في رحم الأم. فيستطيع بذلك أن يميز صوت أمه بعد ولادته من بين الأصوات ، حيث إن الطفل يجفل ويصرخ عند سماع الأصوات المفاجئة، بينما يظهر الطفل استمتاعه بالأصوات المنغمة والمألوفة لديه، فنلاحظ انتباهه إلى صوت الأم برغم سماعه الكثير من الأصوات الأخرى. ومن أجل ذلك ننصح الأم المسلمة والمتأدبة بأخلاق الرسول وأهل بيته الكرام أن تستغل هذه المقدرة السمعية للطفل، بأن تقرأ ضمن فترة الحمل الكتاب المجيد وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) بصوت مسموع.

وأن تكثر سماع القرآن وترديد الشهادة قدر الاستطاعة لتتعطر أسماع طفلها بأنشودة المتقين لتعمه البركة وترافقه العناية الإلهية بإذن الخالق.

إن الأطفال حديثي الولادة عادة تكون لديهم أشكال بكاء مختلفة للتعبير عن احتياجاتهم وأحاسيسهم. وكلما زادت شدة بكاء الطفل تيقن الأطباء أن صحة المولود ممتازة . لأن البكاء عند الأطفال يدل بأن مركز التنفس وعضلات التنفس والرئتين والحنجرة والحبال الصوتية فيها تعمل بتوافق. وتستطيع الأم بعد الولادة أن تميز صوت طفلها من بين أصوات الأطفال الآخرين.

ـ ففي الشهر الأول من عمر الطفل، يبدأ بالاستجابة إلى الابتسامة والحديث، وعادة ما تكون الابتسامة والحركات السريعة لأطراف الطفل دليلا على سعادته وطريقة للتعبير عنها.

ـ أما في الشهر الثاني من عمر الطفل فإنه يبدأ بإضافة بعض الأصوات الخاصة به.

ـ وفي الشهر الثالث يبدأ الطفل بتمييز الابتسامة عن الكلام والحديث معه، ويطلق أصوات المناغاة عند التحدث معه.

ويعد هذا العمر للطفل من أسعد الأوقات المشتركة التي تحدث بين الأم والطفل لممارسة المناغاة، والتي تعتبر بداية الطريق لتعليم الطفل أخذ الأدوار والحديث، لأن الأطفال في هذا العمر لا يحاولون الكلام وإصدار الأصوات إلا بالتحدث إليهم.

ـ أما عند إكمال الطفل النصف الأول من سنته الأولى، يكون قد بدأ بربط الأصوات ببعضها محاولة لمزجها عن طريق المناغاة، والتمرين المستمر للطفل تصبح المناغاة والأصوات أكثر تعقيدا وتطورا .

ـ وفي الشهر الثامن، أغلبية الأطفال يمتلئون سرورا بالحديث ، وحتى إن لم

يكن موجها إليهم. لو لاحظنا عند تحدث شخصين بالغين بموضوع معين في أثناء وجود طفل صغير بالعمر المذكور آنفاً بينهما، نلاحظ أن الطفل يلتفت برأسه نحو المتكلم بالتوالي كأنه يراقب كرة تنس، ويركز بعينه على حركات شفتيه. بينما إذا مضت فترة من الزمن ولم يشركه في الحديث معه فإنه سيستخدم لغته الخاصة أو إطلاق صرخة للتنبيه بوجوده.

ـ وفي فترة الشهر التاسع يبدأ الطفل بإعادة الكلمات المألوفة بطريقة تساعده على تعلم العلاقة بين الصوت والشيء أو العمل، لذلك لابدّ من استخدام جمل قصيرة أو عبارات مختصرة وتلفظها بوضوح والتوقف عندها عدة مرات. كما أن الإعادة والتكرار مهمان جداً في هذه المرحلة ولاسيما ربط الكلمة بمدلولها.

ـ وحتى الشهر العاشر أو أكثر يتعلم الأطفال الطبيعيون أسماء الأشخاص المحيطين بهم أو أسماء بعض الأغذية التي يتناولها الطفل كخطوات أولى للكلام.

ـ النقاط البارزة في تطور التكلم عند الأطفال:

يبدأ الطفل بترديد المقاطع السهلة : ما، با، دا، وسطيًّا في الشهر السابع، وبالتكلم الفعلي بدءاً من الشهر العاشر إذ يقول : ماما، بابا، دادا قاصداً معانيها بالذات. وفي نهاية السنة يتلفظ بكلمتين إلى جانب ماما وبابا، وفي نهاية السنة الثانية يركب الجمل الصغيرة من كلمتين أو ثلاث، أما في نهاية السنة الثالثة فهو يتكلم دون انقطاع.

ـ المدى الطبيعي للتكلم:

هذا في العادة والمتوسط، ولكن مدى الاختلاف في الأحوال الطبيعية واسع جداً.

فقد لا يبدأ الطفل بالتكلم إلا في منتصف السنة الثانية أو بعد ذلك، ومنهم من لا يتكلم إلا كلمات متفرقة فقط في السنة الثالثة، ومنهم من لا يقال عنه : إنه قادر على التكلم إلا في الرابعة أو الخامسة، فمن طفل طبيعي في السنتين لا يلفظ كلمة واحدة إلى طفل مثيل في سنه يلفظ ألفى كلمة كما وجد البعض.

ومن الطريف أن نذكر أن الأدب الطبي يروي لنا أن عدداً كبيراً من مشاهير العالم في الذكاء قد تأخروا في التكلم، وفي مقدمتهم أينشتاين الذي أخذه أهله للطبيب معربين عن قلقهم لتأخره في التكلم رغم أنه أتم الرابعة من عمره.

ـ أسباب التأخر في التكلم:

١- إن السبب الأول والأكثر مصادفة هو التأخر الطبيعي الذي ذكرناه آنفاً ويُرَد إلى الوراثة، وبالتالي فهو يكثر في بعض العائلات دون بعض.

٢- قد يتأخر التوائم نظراً لتعلمهم التحادث بطريقتهم الخاصة واعتمادهم على الإشارة في التفاهم.

٣- أسباب بيئية سلوكية:

فقد لوحظ أن الطفل قد يتأخر في التكلم إن كان محاطاً برعاية مفرطة بحيث لا يحتاج إلى طلب شيء، وحيث مَن حوله يتوقعون ما هو بحاجة إليه ويسارعون بخدمته وتلبية حاجاته.

فما من حاجة ولا من طلب ولا سؤال. ولكن ليس معنى هذا أن لا نلبي طلبات من تأخر تكلمه، لغير السبب المتقدم، حتى يتكلم. بمعنى إذا طلب طفل وهو في السنة الثانية مثلاً أن نعطيه شيئاً ما - طعاماً أو شراباً أو لعبة - فنمتنع عن إعطائه ذاك الشيء حتى يسميه. فنقول له : قل كذا حتى نعطيك، فهذا شيء محرم لا يجوز، ويؤدي إلى اضطراب الطفل وتأثره بل يعيق تكلمه حسبما يقرر علماء نفس الطفل، أو يعقده حسبما تقول العامة.

ومن الأسباب السلوكية : الشدة في المعاملة والإفراط في التوجيه والتصحيح وكثرة الانتقاد والاستهزاء وما شابه ذلك ، مما يجعل الطفل قلقاً خائفاً متوتراً غير سعيد.

٤- الأسباب المرضية الصريحة وهي تضم مجموعتين:

أ- نقص السمع بأشكاله. فكيف يتكلم من لا يسمع فكل أطرش لا يتعلم التكلم ويصبح أخرس، ويدخل في زمرة الصم البكم.

ب- التأخر العقلي : فالذكاء هو أساس القدرة على التعلم وكلما اشتد التأخر العقلي اشتد تأخر التكلم حتى درجة عدم القدرة على التكلم بالمرة.

بعض الملاحظات المفيدة في التكلم عموماً:

١- كل طفل ذكي ويتمتع بحاسة سمع سليمة ويفهم بالتالي ما يسمعه، سيتكلم بسهولة، إن عاجلاً أم آجلاً، إن كانت أجهزة النطق - الحنجرة والحلق والأنف والفم - لديه سليمة.

٢- ويتكلم الطفل لغة أهله ولهجتهم ويحسن ما يحسنون، فما علينا إلا أن نسمع أطفالنا ما نريدهم أن يتعلموه، فلو تكلمنا الفصحى مثلاً تعلموها، بل وإن سمعوا لغتين لتعلموهما أيضاً.

٣- المتأخر بسبب طبيعي وراثي - السبب رقم ١ - نراه يتعلم التكلم بسرعة عندما يبدأ بالتكلم. وما علينا إلا أن نتركه على سجيته وأن نتكلم على مسمع منه

أو معه كلاماً واضحاً فصيحاً حتى يتعلمه بالطريقة الطبيعية التلقائية التقليدية.

وكذلك المتأخرون بسبب قلة الكلام في محيطهم أو في حال التوائم أو لأسباب نفسية، فإنهم يتكلمون بسرعة عند زوال العائق.

٤- أما المتأخرون لقلة السمع فتأخرهم في التكلم يكون ثابتاً ويكونون أذكياء في بقية المجالات. كما هو الحال في المهارات اليدوية البصرية مثلاً، فالطفل يحسن اللَّعب باللُّعب والشرب بالكأس ، ثم تناول الطعام ، وهو يتفاعل اجتماعياً بشكل طبيعي ، يخاف . يخجل . يغار . يقلد وهكذا.

٥- المتأخر بسبب قلة الذكاء فهو متأخر في كل المجالات وإذا تعلم التكلم تعلمه ببطء وعسر وبشكل سيئ غير متكامل.

٦- ليس التكلم وحده دليل الذكاء، مع أن التكلم بحاجة إلى الذكاء بكل تأكيد، فقد يتكلم عادي الذكاء بشكل جيد ومبكر ، بينما يتأخر الذكي كما قدمنا، وفي هذا مجال للخطأ، عندما يعتقد الأهل أن ابنهم الذي تكلم باكراً شديد الذكاء ، فيتوقعون منه الإنجازات الباهرة ويطالبونه بالمستويات العالية، وهو غير قادر.

٧- يعتقد كثير من الناس أن لجام اللسان هو سبب تأخر الكلام ، وهذا وهم. فكل طفل قادر على مد لسانه حتى يجاوز حافة لثته السفلية فلسانه لا يعيقه عن تلفظ أي حرف ، وأما اللجام الشديد القصر الذي يشد ذروة اللسان إلى الخلف والأسفل ويجعل اللسان يدور على نفسه عندما يريد الطفل مد لسانه إلى الأمام، فهو اللسان الذي يعيق الطفل عند تلفظ الحروف التي هي بحاجة إلى ذروة اللسان كالتاء والثاء والسين، وهو يجعل اللفظ سيئاً ولكن لا يؤخر التكلم.

إن التكلم بحاجة إلى الذكاء وإلى السمع كما قدمنا. ثم بحاجة إلى اللسان وبقية أدوات التكلم ليكون حسن الأداء. وعلى كل فإن عملية قص لجام اللسان إن كان مشوهاً هي من أسهل العمليات التجميلية على الإطلاق.

**** تطور الكلام :**

*** العام الأول :**

يتسنى للأطفال التفاهم و الاتصال قبل أن يتكلموا ، فهم يصغون، عقب ولادتهم، إلى أصوات آبائهم وأمهاتهم ، و يستمتعون بها لأنها توحي لهم بالدعة و الأمان . ومن الشهر الثاني يتعلمون إطلاق الأصوات المختلفة كالقرقرة و الهديل . وتتحول هذه الأصوات في النصف الثاني من السنة الأولى إلى مقاطع واضحة مثل"ما" و"دا" و "غا" . وشيئا فشيئا تصبح هذه الأصوات مركبة إلى أن يأخذ الطفل في لفظ جمل مبهمة . وفي نهاية العام الأول يستطيع معظم الأطفال فهم بضع كلمات وعبارات

وأوامر بسيطة . ويستطيعون التفوه على الأقل بكلمة واحدة مفهومة في سياقها المناسب .

*** العام الثاني :**

في مطلع العام الثاني تزداد مفردات الطفل بسرعة وإن ظل الكثير من حديثه ثرثرة غامضة . و تدريجيا يأخذ الطفل في ربط أسماء الناس و الأشياء بالأفعال أو الأوامر ، مثلا " أمي اذهبي" أو "كلبي كل" في هذه المرحلة يتسارع فهمه لما قد تقولينه له .إن قاعدة عريضة من المفردات و الهيكلية اللغوية قد بدأت تنشأ عند الطفل وإن لم يكن ذلك باديا في كلامه على نحو واضح .

*** العام الثالث :**

هذا العام هو العام الذي يوثق و ينمي فيه الطفل معرفته بالمفردات والقواعد اللغوية التي تعلمها و حفظها في عامه الثاني .إن استفساره المتواصل عن أسماء الأشياء ووظائفها يضاعف من مفرداته ويزيد من ثقته في استعمال الكلمات . وفي نهاية هذا العام يفهم معظم الأطفال كلام الكبار إذا كان خاليا من التعقيد و الصعوبة. كما يستطيعون التعبير عن حاجاتهم و عن أفكارهم و التحدث عن الشئون اليومية التي تهمهم .

*** العام الرابع :**

في هذا العام يبدأ الطفل في إلقاء الأسئلة التجريدية (لماذا؟ كيف؟ متى؟) ويستطيع أن يفهم المعنى ونقيضه (طيب / خبيث) كما أنه يستطيع استعمال القواعد الأساسية للصرف و النحو كما يسمعها ممن حوله. ورغم أنه يستطيع التحدث بكل وضوح إلا أنه قد يتلفظ أحيانا بنصف الكلمة وهذا أمر لا يقلق.

*** العام الخامس :**

يمكنه أن يقوم بسرد واقعة أو حكاية باستعمال أكثر من خمس كلمات في الجملة الواحدة .